أ.د/ محمد طول
هاشمي فوزيـــة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
-جامعة تلمسان-

مرجعيات الطاهر بن عاشور في تفسيره :
التحرير والتنوير

محمد الطاهر بن عاشور علَمٌ من أعلام الأمة الإسلامية و مشايخها ولد في 1879م ، وتوفي سنة 1973م بتونس .
تعلم القرآن حفظاً و تجويداً و قراءات، وتعلم شيئاً من العربية، ثم التحق بالزيتونة... نبغ في العلوم الإسلامية على مختلف ألوانها ، و استمر حتى انتهى من الدراسة في أرقى مستوياتها ، و تخرج من الزيتونة ليعمل في مختلف المناصب الدينية [1].

و أهم منصب تولاه كان منصب القضاء ، و بعده تولى مشيخة الإسلام في موطنه تونس .

و قد شهد له كل من عاصره بالذكاء الفائق و النبوغ بين أهل العلم، وسعة الاطلاع في آداب اللغة ،فقد قال عنه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور علَمٌ من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره ؛فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال لها ، واسع الثراء في كنوزها ... أقرأ و أفاد ، تخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي ، و تفرد بالتوسع و التجديد لفروع من العلم ..." [2]

من مؤلفاته تفسيره المعنون : " التحرير و التنوير "[3].

عكف الشيخ" محمد الطاهر بن عاشور " على تأليف كتابه هذا طيلة أيام حياته و قد سماه : " تحرير المعنى السديد ، و تنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد " . و اختصره باسم " التحرير و التنوير من التفسير"، و يتداوله الدارسون باسم:" التحرير و التنوير " .

يقع الكتاب في ثلاثين جزءاً ، ضمت تفسيراً لكل السور القرآنية ، ثم طبعه بالدار التونسية للنشر – تونس- وبالمؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر .

استفاد الشيخ في تفسيره من بعض العلماء ، و لعل أهم عالم أخذ عنه وأسهب في ذكر محاسن تفسيره وتميزها عن غيرها ؛ العالم الجليل "الزمخشري[4]" (تـ 538هـ) صاحب "الكشاف" ، وبصفة أقل ، العالم " ابن عطية"[5](تـ 542هـ) صاحب "المحرر الوجيز".

و مرجع اهتمامه بتفسيريهما هو أن كليهما يغوص في معاني الآيات، ويأتي بشواهدها من كلام العرب و يذكر كلام المفسرين . و قد نحا في المجال البلاغي منحى الزمخشري في كشافه، أما في مجال الشريعة فقد غلّب آراء ابن عطية في وجيزه .

و لعل هذا الاختيار كان مرده إلى رغبة الشيخ الطاهر بن عاشور في تقديم عمل يحمل مزايا أهل الاختصاص في تفسيره . و يتوضح لنا ذلك من خلال قول ابن خلدون مثلا في الزمخشري ؛ إذ نجده يذكر تميزه في البلاغة حيث يقول: " و من أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد... فصار ذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه و تحذير

للجمهور من مكامنه مع إقرارهم برسوخ قدمه في ما يتعلق باللسان والبلاغة، و إذا كان الناظر فيه واقفا مع ذلك على المذاهب السنية محسنا للحجاج عنها فلا جرم أنه مأمون من غوائله فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان."[6]

ومن هذا الجانب المتميز ، عمد الشيخ إلى اتخاذه مرجعاً ومستنداً في كثير من الآراء البلاغية الفكرية.

ومن العلماء الذين استفاد منهم المفسر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : التفتازاني صاحب "شرح الكشاف"، والخفاجي صاحب"حاشية التفسير"، وأبو عبيدة صاحب " مجاز القرآن " ، والفرا ء صاحب" معاني القرآن " ... لأنهم لم يكتفوا بما أثر عن النبي (ص) و التابعين له. يقول في هذا "... فلله در الذين لم يحبسوا أنفسهم في تفسير القرآن على ما هو مأثور مثل: الفراء و أبي عبيدة من الأولين ، و الزجاج و الرماني ممن بعدهم ، ثم الذين سلكوا طريقهم مثل : الزمخشري و ابن عطية " [7].

وهكذا حدد الشيخ الطاهر بن عاشور مرجعياته الفكرية و البلاغية واللغوية و المنهجية ، فكان عقلانياً أكثر منه اتباعياً أو أثرياً .

وسنضع بين أيدي القراء مادة علمية تنهض دليلاً على ملامح المرجعية الفكرية والمعرفية ، وعلى منهج التفسير عند الشيخ الطاهر بن عاشور في كتابه : التحرير والتنوير . من خلال تفسير : " **سورة البقرة** " .

ووقع اختيارنا على تفسر الزمخشري : (الكشاف) لنجري مقارنة بينه وبين التحرير والتنوير ، في باب : الاستشهاد بالشعر ، وفي المناسبات التي دعت إلى ذلك ...

و لقد تبين لنا بعد الاطلاع على التفسيرين المذكورين أن الشيخ الطاهر بن عاشور أورد في تفسيره - في الأغلب الأعم – الشواهد الشعرية التي وردت في الكشاف ، كما أنه اعتمد على كثير من شروحه الشعرية للشواهد على ما ورد في الكشاف ؛ لا سيما في تخريجه للقواعد البلاغية. كما أننا وجدناه يتميز أحياناً ببعض الشواهد الشعرية ، ويحرص – في الوقت نفسه - على نسبة الشواهد الشعرية لأصحابها؛دفعاً لاحتمال ضعفها،وزيادة في الائتمان عليها من التحريف والانتحال.

ومن الشواهد الشعرية المتشابهة في التفسيرين نورد ما ذكر في المناسبات المعنوية من جهة ، وما ورد في المناسبات البلاغية من جهة أخرى. وسنقتصر على ما ورد في تفسير سورة البقرة في التفسيرين .

1 – في المناسبات المعنوية :

تشابهت الشواهد الشعرية في بعض المواضع من التفسيرين ، حتى أن الشيخ ابن عاشور كان يقتبس من الكشاف بعض الأبيات ، و يذكر ذلك فيقول : " و في الكشاف " ... كذا و كذا ....

ففي تفسير قوله تعالى : " **ألـــم** "[8] ، استشهد الزمخشري بقول الشاعر:

يُذَكِّرُنِي حَامِيمَ والرُّمحُ شَارِعٌ فَهَلاَّ تَلاَ حَامِيمَ قَبلَ التَّقَدُّمِ (الطويل)

و نسب هذا البيت لقاتل " محمد بن طلحة السجاد " و هو " شريح بن أوفى العنسي "[9] .

و البيت نفسه ذكره " ابن عاشور " في الموضوع نفسه ؛ غير أن الزمخشري زاد أبياتاً أخرى لم نجدها في " التحرير و التنوير " .

و استشهد الشيخان في تفسير قوله عزوجل : " وَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ" [10]

يقول الشاعر :

أقامتْ غزالةُ سوقَ الضّرابِ لأهلِ العراقَيْنِ حولاً قميطاً (المتقارب)

و لم ينسبه الزمخشري لأحد ، أما ابن عاشور فنسبه لـــ "أيمن بن خريم الأنطري (الأسدي) (تـــ80هـــ) .

والقصد من عرض البيت هوتفسير لفظ (يقيمون) ، الذي يتقاطع مع معنى "قامت السوق إذا نفقت وتداول الناس فيها بالبيع والشراء " [11].

و في تفسير لفظة (اشتروا) في الآية :" أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى" ([12]) أوردا قول أبي النجم (تـــ 130هـــ) :

أَخَذَتْ بِالجُمَّةِ رَأساً أَزعَرا وبالطَّويلِ العُمْرِ عُمْراً حيدرا

كما اشترى المسْلِمُ إذْ تَنصَّرا (الرجز) [13]

وذكر الزمخشري الشاهد في صورة بيتين ؛ حيث أوردهما بالصيغةالتالية :

أَخَذْتُ بالجُمَّةِ رأساً أَزْعَـرَا وبالثّنايا الواضحاتِ الدُّرْدُرَا

وبالطَّويلِ العُمْرِ عُمْراً حيدرا كما اشترى المسْلِمُ إذْ تَنصَّرا [14]

كما استشهد الزمخشري بصدر بيت من قول الأعشى ، مستشهدا به على دلالة لفظ " دون " من قوله تعالى : "وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللّهِ"[15] . و القول هو :

تريك القذى من دونها وهي دونه .....

أما " ابن عاشور " فجاء بنفس الشاهد و لكن في صورة بيت كامل ، مضيفا عليه شرحاً لبعض الألفاظ الغريبة :

تُريكَ القَذى مِن دونِها وَهيَ دونَهُ إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ (الطويل)

و في تفسير قوله تعالى : " ...وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ..." [16] ذكر الشيخان بيتاً للحطيئة جاء فيه:

كيفَ الِهجاءُ وَ مَا تَنْفَكُّ صالحةٌ مِنْ آلِ لأْمٍ بِظَهْرِ الغيبِ تأْتِينَا (البسيط)

فاستدلا على أن " الصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم " [17] .

و من إضافات ابن عاشور أنه استشهد ببيت لكعب بن زهير (ت 26 هـ) لم يورده الزمخشري في الكشاف و هو قوله :

سقاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كأساً رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ مِنْهَا الْمَأْمُونُ وَعَلَّكَ (البسيط)

أما البيت الموجود في التفسيرين فهو لعمرو بن معد يكرب:

أمِن رَيحانةَ الداعي السميعُ يُؤَرِّقني وأصحابي هُجوعُ (الوافر)

و جيء بهذين البيتين للدلالة على أن (روية) بمعنى " كأسا مروية " و (سميع) بمعنى المسمع ، ([18]) لكن جاءا على وزن " فعيل" و أصله مفعل ، و مجيء " فعيل " من " أفعل " قليل ...

و في تفسير معنى (النعق) عند قوله تعالى " وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ .." ([19]) استعان المفسران بقول الأخطل:

فانْعَقْ بضَأْنِكَ ياجريرُ فإنما مَنَّتْكَ نفسُكَ في الظلامِ ضَلالا (الكامل) [20]

و جئ أيضا في تفسير لفظة (خيط) في الآية الكريم " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ. "[21] ببيت لابي الأيادي(تـ 79ق هـ) يقول فيه :

فلمَّا أضاءتْ لَنَا سُدْفَةٌ وَلاَحَ مِنَ الصُّبْحِ خيْطٌ أَنَارَا (المتقارب)

و قد كان تفسير الكلمة هو نفسه في كلا الكتابين .

أما " الإحصار " فمعناه " منع الذات من فعل ما "[22] و استدل عليه بقول ابن ميادة (تـ 149هـ) :

وَما هَجْرُ ليلى أن تكون تباعَدَتْ عليكَ ولا أن أحصرتْكَ شغولُ (الطويل) [23]

و في هذا الموضع استشهد " ابن عاشور " بكلام الزمخشري في اثبات المعنى الحقيقي للمفردة ، لانها تحمل أكثر من معنى عند اللغويين .

و في حالات قليلة نجد الزمخشري و ابن عاشور يستعينان بنفس البيت في تفسير نفس الآية ، لكن لكل منهما غرض وراء استشهاده بذاك البيت ، فمثلا عند شرح لفظة " السِّلم " في قوله عزوجل : " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً " [24] ؛ استشهدا بقول عباس بن مرداس (تـ 18هـ) :

السِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَارَضِيت بِهِ والْحَرْبُ تَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ (البسيط) [25]

" فالزمخشري " استعان بالبيت ليبين أن (السّلم) مؤنثة " لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب " ، و " ابن عاشور " استعان به ليبين حقيقة المفردة . وحقيقة السلم الصلح و ترك الحرب . و زاد عليه استشهادا آخر و هو بيت لزهير :

وَقَدْ قُلْتُمَا إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِعاً بمالٍ ومعروفٍ مِنَ الأمر نَسْلَم (الطويل)

و من الأبيات التي أخذها " ابن عاشور " من الكشاف ، البيت الذي استدل به على معنى " عرضة " من قوله تعالى " وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً

لِأَيْمَانِكُمْ "[26] : إنها تطلق على "مايكثر جمع الناس حوله ، فكأنه يعترضهم عن الانصراف" [27].

و أنشد في الكشاف :

دَعُونِي أَنح وجداً لنوح الحمائم وَلاَ تَجْعَلوني عُرْضَةً لِلَّوائِمِ[28]

و في تفسير لفظة " سرّ" استشهد الشيخان بقول الأعشى :

وَلا تَقرَبَنَّ جارَةً إنَّ سِرَّها عَلَيكَ حَرامٌ فَانكِحَن أَو تَأَبَّدا (الطويل)

و زاد عليه " ابن عاشور"بيتا لامرئ القيس قال فيه :

ألا زَعمتْ بَسباسةُ اليومَ أنّني كَبِرتُ، وأنْ لا يُحسن السِّرّ أمثالي (الطويل)

و قد وردت هذه اللفظة في الآية : "..لاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً ..."[29]

و معنى" لم يطعمه "من قوله تعالى :" فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي "[30] أن (لم يطعمه) بمعنى لم يذقه . و هو التفسير نفسه عند الشيخين و استشهدوا له ببيت الحارث بن خالد المخزومي (تـ 80 هـ) :

فإن شئتِ حرّمتُ النساءَ سِواكُم وإن شئتِ لم أطعمْ نُقاحاً ولا بَرداً (الطويل)

أن لم أطعم : بمعنى لم أذق .

وفي الكشاف جاء الزمخشري بالعجز فقط و لم ينسب البيت لأحد.

و في لفظة (السِّنَة) وهي أول النوم أو النعاس ،الوارد في الآيةالكريمة : " لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ "[31] فقد اتفق المعنى عند الطرفين ، وزاد المعنى وضوحاً قول عدي بن الرقاع (تـ 95هـ) :

وسنانُ أقْصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ في عَيْنَيْهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنائِمِ (الكامل).[32]

و في معنى " الدَّيْن " في قوله تعالى : " إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ "[33]. استشهد المفسران بقول رؤبة :

داينتُ أَرْوَى والديونُ تُقْضى فمَطَلَتْ بعضاً وأَدَّتْ بعضا (الرجز)

و أضاف عليه ابن عاشو ر بيتاً آخر (للأقيشر الأسدي(تـــ 80هـــ) لم ينسبه لأحد – لزيادة التأكيد و الترسيخ المعنى في الأذهان و دفع توهم المجاز ، جاء فيه :

وَعَدْتَنَا بِدِرْهَمَيْنِ طلاءً وشواءً مُعَجَّلاً غيرَ دَيْنِ (الخفيف) .

لأن " الدين " في بيت رؤبة مستعملا استعمالا مجازيا في الوعد ، أما في الحقيقة فهو العوض المؤخر كما في البيت الثاني .

2– في المناسبات البلاغية :

الشواهد الشعرية في هذا المقام قليلة جدا ، إذ أحصينا ثلاثة فقط ، فأكثرها تشابها ما جاء في القضايا المعنوية .

و أول تشابه وجدناه كان في باب الاستعارة ، و قد أخذه ابن عاشور من الكشاف ، و هو عند تفسير الاستعارة في قوله عزوجل : فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ ..."([34])، و الشاهد الأول لشاعر لم يذكره " الزمخشري" و لا " ابن عاشور " . وهو للكميت(تـــ 126هـــ)يقول فيه :

و كما رأيت النسر عز ابن دأبة و عشش في وكريه جاش له صدري (الطويل)

أما الشاهد الثاني فيتضمن بيتين من الشعر لم ينسبهما الزمخشري ، بل ذكر فقط أنهما لبعض فتاك العرب (أوس بن حجر تـــ 02ق هـــ). و نفس

الشيء فعله ابن عاشور حيث قال : " أنشده في الكشاف [أي البيت الشعري] و لم أقف على تعيين قائله ([35]).و جاء فيه :

وما أمُّ الرُّدَيْنِ و إن أدلَّتْ بعالمةٍ بأخلاق الكـــرام

إذا الشيطانُ قَصَّعَ في قفاها تَنَفّقْناهُ بالحَبْلِ التُّـــؤَامِ (الوافر)

أما الشاهد الثاني فقد ورد في باب الحذف، عند قوله تعالى "وَلَوْ شَاءَ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ..."([36]) حيث حذف المفعول .

و نفس البيت استشهد به " ابن عاشور" ونسبه لاسحاق الخريمي(تـــ 212هـــ) مولى بن خريم من شعراء عصر الرشيد"([37])، وجاء بالبيت كاملا ، لا الصدر فقط ، ولكنه هذه المرة لم يأخذه من الكشاف بل استعان بكتاب دلائل الاعجاز للجرجاني كما ذكر هو .

و **ثالث** شاهد جاء في نفس الباب أي باب الحذف ، و استشهد كلا هما ببيت للخنساء (تـــ 24هـــ) جاء فيه :

ترتعُ ما ارتعت حتَّى إذا ادَّكرتْ فإنَّما هي إقبالٌ وإدبارُ (البسيط)

لكن " ابن عاشور" زاد عليه بيتا آخر هو للنابغة يقول فيه :

وقَدْ خِفْتُ حتَّى ما تَزِيدُ مَخافَتي على وَعِلٍ في ذِي المَطَارَةِ عاقِلِ (الطويل)

3- الشواهد الشعرية المختلفة في التفسيرين :

1 – في المناسبات المعنوية :

يظهر في التفسيرين بعض الاختلافات في الشواهد الشعرية الموظفة في المناسبات المتشابهة ،وإن كانت تؤدي نفس الغرض ؛ وهو إثبات معنى ما ، أو توضيحه، أو شرحه على ضوء ديوان العرب .

فلقد استشهد الزمخشري في الكشاف على معنى (**خالدون**) من قوله تعالى :"..**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**..."([38]) ، ببيتين لامرئ القيس يقول فيهما :

أَلا انْعَمْ صَباحاً أَيُّها الطَّلَلُ البالي وهل يَنْعَمَنْ مَنْ كان في العُصُرِ الخالِي

وهَلْ يَنْعَمَنْ إلاّ سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الهُمُومِ ما يَبِيتُ بأَوْجَال

فكان (الخلد) عنده " الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لاينقطع " [39]

أما ابن عاشور فقد فسر هذه اللفظة (**خالدون**) الواردة في الآية السابقة بقوله : " هولاء الأزواج لن تنقطع عنهم النعم واللذات التي ألفوا أن تنقطع عنهم في الدنيا ، لأنها معرضة للزوال ، واستشهد بقول أبي الطيب :

أَشَدُّ الغَمِّ عِندي في سُرورٍ تَحقَّقَ عَنهُ صاحِبُهُ اِنتِقالا (الوافر)

وهكذا يتضح ان الزمخشري استشهد على معنى معين في الآية ، وابن عاشور استشهد على معنى آخر أيضاً من الآية الواحدة . ولهذا اختلف الشاهدان .

واختلف الشاهدان كذلك في معرض تفسير قوله تعالى : "... **إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ وَ لاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**..."([40]) فيرى الزمخشري ان لفظة (**عوان**) تفيد معنى النصف ، ويستشهد على هذا المعنى بهذا الشطر :

..... نواعم من أبكار وعون

أما ابن عاشور فيقول مادامت لفظة (**عوان**) تعني في الآية " متوسطة السن " أومعناه " نصف" ([41])؛ فإنها جعلت مثلا للشدة في قول النابغة :

وَمَنْ يَتَرَبَّصِ الْحَدَثَانِ تَنْزِلْ بِمَوْلاَهُ عَوَانٌ غَيْرُ بِكْرِ (الوافر)[42][43]

كما اختلفا أيضاً في الاستشهاد على معنى (حنيفاً) من قوله تعالى:" **قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً** "([44]) التي هي "الميل " . فاستشهد ابن عاشور على ذلك بقول أم الأحنف بن قيس([45]) :

و اللهِ لولاَ حنفٌ بِرِجْلِه مَا كَانَ فِي فِتْيَانِكُمْ مِنْ مِثْلِهِ

فالحنف في البيت بمعنى الميل في الرجل ([46]).

واستشهد الزمخشري على معنى اللفظة نفسها بقول الشاعر :

ولكنا خلقنا إذ خلقنا حنيفاً ديننا عن كل دين

فأفاد الشاهدان المعنى نفسه ؛ وهو الميل .

كما استعان كل من المفسرين بشاهد مختلف عن الآخر في استشهادهما على معنى (**وسطاً**) من قوله تعالى : " **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً** "([47]) ، التي تفيد معنى (الخيار النفسي) ، والذي يكون محمياً ؛" لأن الأ طراف سهل وصول الخلل إليها" . فاستعان ابن عاشور على هذا المعنى بقول زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعضل (الطويل)

واستعان الزمخشري بقول الطائي :

كانَت هِيَ الوَسَطَ الحمي فاكتنفت بها الحوادث حَتّى أَصبَحَت طَرَفا (البسيط)

نتيجـــة :

إن المقارنة بين التفسيرين : التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، والكشاف للزمخشري أفرزت لنا النتائج التالية :

1 - اعتمد ابن عاشور على مجموعة كبيرة من الشواهد الشعرية من ديوان العرب ؛ حتى إننا لانكاد نجد آية كريمة يخلو تفسيرها من بيت شعري أو أكثر .

أما الزمخشري فلقد وردت عنده الشواهد الشعرية بصورة أقل ، بالمقارنة مـــع ما ورد في التحرير والتنوير .

2- استعان ابن عاشور بالشعر في أغلب القضايا التي تناولها في تفسيره ؛ حيث وظف الشعر في المناسبات البلاغية بفنونها المختلفة ، ووظف الشعر في المناسبات اللغوية ؛ النحوية والصرفية ، وفي دلالة الألفاظ ....

أما الزمخشري فدارت استشهاداته بالشعر — في الأغلب الأعم — حول التخريجات البلاغية ، وفي معاني الألفاظ ، وقلما نجدها في المناسبات الأخرى .

3 — وظف الزمخشري قريحته الشعرية في بعض المناسبات ؛كإنشاده أبياتاً في عظمة الله وقدرته ، وفي روعة خلقه ، مثلما سجله في هذين البيتين:

يا من يرى مَدَّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البَهيم الأليَلِ

ويرى عروق نياطهـــا في أنحرها والمخَّ في تلك العظام النُحَّلِ(الكامل)([48])

أما ابن عاشور فلم تكن له موهبة الزمخشري في إنشاد الشعر، وإن كان كثير التأثر بالزمخشري وبأسلوبه و بمنهجه في التفسير. ويتضح ذلك جلياً من خلال اقتباسه لكثير من آراء الزمخشري وتوظيفها في تفسيره بصورة تدعيميه وتوافقية وائتلافية.

الهوامش

---

[1]- منيع عبد الحليم محمود- مناهج المفسرين ص 333 .

[2]-محمد الطاهر ميساوي – مقاصد الشريعة للشيخ محمد الطاهر بن عاشور – كوالالمبور ـــ البصائر للإنتاج العلمي ط1 1998.

[3]ـــ هو تفسير بلاغي بياني لغوي عقلاني ، لايغفل المأثور ويهتم بالقراءات . وطريقة مؤلفه فيه أن يذكر مقطعا من السورة ثم يشرع في تفسيره مبتدئاً بذكر المناسبة ثم يتناول لغويات المقطع ، و ينتقل إلى التفسير الإجمالي ويتعرض فيه للقراءات والفقهيات وغيرها ..و يقدم عرضا تفصيليا لما في السورة ويتحدث عن ارتباط آياتها...

[4]- العلامة " الزمخشري " صاحب أشهر المؤلفات؛ أهمها " الكشاف " و " أساس البلاغة" ؛ هو : " أبو قاسم محمود بن عمر الزمخشري الملقب " بجار الله " و قد كان حنفي المذهب ، معتزلي العقيدة و لقب بجار الله ، لانه ذهب إلى مكة و جاور بها زمنا ."و يعود زمنه " إلى زمخشر ، و هي قرية من قرى خوارزم " ، كان كثير الترحال و السفر ، و ألف الكشاف في الأرض المقدسة ، وأعد لتفسيره إعدادا كاملا : من لغة ، و أسلوب و فصاحة ... و لكن ما ركز عليه الزمخشري و رأى أنه لا مناص و لا غنى لأي مفسر عنه : علم المعاني و علم البيان ، فجاء تفسيره تفسيرا بلاغيا ، توفي سنة 538هـ .

ينظر : محمد أبو موسى – البلاغة القرءنية في تفسير الزمخشري- ص 52 .

وينظر: منيع عبد الحميد محمود – مناهج المفسرين – ص ص 106-107 .

[5]ـــ عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي ، كان فقيها عارفا بالأحكام والحديث والتفسير بارع الأدب بصيرا بلسان العرب واسع المعرفة وله يد في الإنشاء والنظم والنثر وكان يتوقد ذكاء وله التفسير المشهور ذكر في أسامي الكتب أنه المسمى : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ؛ وهو تفسير شريف جليل القدر والشأن قد تداوله فحول

العلماء وأثنوا عليه خيرا حتى قال أبو حيان هو أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تصدر للتنقيح فيه والتفسير وقال جماعة من الفضلاء كتاب ابن عطية أجمع وللسنة السنية أخلص وأكمل توفي سنة ست وأربعين وخمسمائة(546 هـ) ، ولي قضاء المرية , ينظر : أحمد بن محمد الأدنروي ـــ تح : سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة ، ط1ـــ 1997 ـــ 1/ 176

[6]- حدد المفسر (محمد الطاهر ابن عاشور) موقفه من تفسير " الكشاف" على قاعدة ابن خلدون التي وصف بها كتاب " الكشاف" للزمخشري، عندما تحدث (في مقدمته) عن صنف التفسير الذي يرجع إلى اللسان والإعراب والبلاغة . - ينظر : عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، دار الجيل، بيروت ص 488

[7]- محمد الطاهر بن عاشور –تفسير التحرير والتنوير- ص33 .

[8]- البقرة – 1 .

[9]- الزمخشري – الكشاف – ج1- ص 84 .

[10]- البقرة – 3 .

[11]- محمد الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير – ج1- ص 231 .

[12]- البقرة - 16 .

[13]- محمد الطاهر بن عاشور- التحرير والتنوير – ج1- ص 299 .

[14]- الزمخشري- الكشاف – ج1- ص 191 .

[15]ـــــ البقرة / 23

[16]- البقرة – 25 .

[17]- الزمخشري – الكشاف- ج1- ص 255.

[18]- نفسه – ص 307 .

[19]- البقرة- 171 .

[20]- محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – ج2- ص 113 .

[21]- البقرة – 187 .

[22]- محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – ج2- ص 222

[23]- .نفسه ص 222 .

[24]- البقرة – 208 .

[25]- محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – ج2- ص 275 .

[26]- البقرة – 224 .

[27]- محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – ج2- ص 337 .

[28]- محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – ج2- ص 377.

[29]- البقرة – 236 .

[30]- البقرة -249 .

[31]- البقرة – 255 .

[32]- محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – ج3- ص 19 .

[33]- البقرة - 282 .

[34]- البقرة 16 .

[35]- محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – ج1- ص 221.

[36]- البقرة- ص 20 .

[37]- محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – ج1- ص 322 .

[38]- البقرة – 25 .

[39]- الزمخشري – الكشاف – ج1 – ص 262 .

[40]- البقرة 68 .

[41]- السيوطي- تفسير الجلالين- ص 14 .

[42]- محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – ج1- ص 550 .

[43]- نفسه ص 550 .

[44]- البقرة – 135 .

[45]- كان أحنف الرجلين ضئيلاً، وكان سيد بني تميم ، وهو الذي افتتح " مرو " ، وكان الحسن بن سيرين في جيشه ، وكان على رأس جيش في عهد عمر بن الخطاب (ض) . ينظر : الوافي بالوفيات- صلاح الدين الصفدي- ومجمع الأمثال - للميداني .

[46]- محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – ج1- ص 737 .

[47]- البقرة- 143 .

[48]- الزمخشري – الكشاف – ج1 – ص 265 .